10me Année No. 494

Lundi - 21 - 12 - 10

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	عن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٩٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

صفحة		
١١٥٣	دفاع عن البلاغة	أحمد حسن الزيات . . ..
١١٥٥	دار الهوى فى عيد القمر	الدكتور زكى مبارك ... . .
١١٥٧	العيـــد	الأستاذ محمد عرفة .. ...
١١٥٨	نشأة النطق بالكلام وعلاقته بأصل اللغة وتطورها ولهجاتها	الأستاذ إبراهيم إبراهيم يوسف
١١٦١	جارية البصرة	الأستاذ صلاح الدين المنجد
١١٦٣	خزانة الرءوس فى دار الخلافة العباسية ببغداد ...	الأستاذ ميخائيل عواد ...
١١٦٦	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	للمستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١١٦٩	ســـلمى ... [قصيدة]	الأستاذ على شرف الدين ...
١١٧٠	من شاعر إلى شاعر «	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
١١٧٠	إنصاف الأب الكرملى ...	الأستاذ نجيب شاهين ...
١١٧٠	شبهة فى تاريخ وفاة ياقوت	الأستاذ محمود عزت عرفة ...
١١٧١	المكتب	الأديب محمود السيد أبو السعود
١١٧١	بنى أمية والاسلام ...	الأديب أحمد البدوى ... ...
١١٧٢	فلسفة الأخلاق فى الاسلام	الأستاذ طه محمد الساكت ...

٤ ـ دفاع عن البلاغة

٢ — حد البلاغة

قلنا إن البلاغة توجّه إلى العقل أو إلى القلب أو إليهما معاً تبعاً لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأى والهوى منفردة أو مجتمعة. فإذا كان غرض البليغ نفى جهالة أو توضيح فكرة أو تقرير رأى، جزاه فى إصابة غرضه الصحةُ والوضوح والمناسبة. فإذا أراد التعليم أو الإقناع وكان قوام الموضوع طائفة من الفِكَر أو الأدلة وجب عليه أن ينسقها ويسلسلها على مقتضى الأصول المقررة فى المنهج العلمى الحديث. أما إذا قصد إلى التأثير والإمتاع لا إلى التعليم والإقناع، كان سبيله أن يتأنق فى اختيار لفظه، ويتفنن فى تحرير أسلوبه، ويستعين على اجتذاب الأذهان واختلاب الآذان بإبداع المَلَكة وإلهام الروح وتشويق المخيِّلة وتزويق الفن

والبلوغ إلى قرارة النفوس أخص صفات البليغ فى كل ما يكتب. فلو أن كاتباً وقع على طائفة من الحقائق، أو حصل على مجموعة من الوثائق، ثم حققها ونسّقها وأدانها فى أجل لفظ وأجود صياغة؛ ولكنه لم يبلغ بها كنه القلوب كان حرياً أن يُنعت بما شاء من النعوت إلا البلاغة

والسر فى ذلك أن ضروب المعرفة إنما تقوم على الملكات المحصلة، وتعتمد على العقل المجرد، وتثبت بالدليل القاطع.

ولكن الإثبات ليس معناه الإقناع ، فإن الإقناع لا يكون بغير السيطرة على النفس ، والسيطرة على النفس لا تتم بغير البلاغة . هي وحدها التي تعتدُّ بالعقل في إدراك الحق ، وبالشعور في إدراك الخير ، وبالذوق في إدراك الجمال . وهي وحدها التي تنفذ إلى القلب بسلطان غير ملحوظ ، وتؤثر في الذهن ببرهان غير ملفوظ ، وتذهب في تصوير الواقع وتقرير الحق مذهب الوحي الإلهي الخالد

فالوظيفة الأولى للبلاغة هي الإقناع من طريق التأثير ، والإمتاع من طريق التشويق ، ولذلك كان اتجاهها إلى تحريك النفس أكثر ، وعنايتها بتجويد الأسلوب أشد . وربما جعلوا سر البلاغة في جمال الصياغة

قال أبو هلال : « وليس الشأن في إيراد المعاني ؛ لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف . وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ، ولا يُقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت ... ولهذا تأنق الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة ، ببالغون في تجويدها ، ويُغلون في ترتيبها ، ليدلوا على براعتهم ... ولو كان الأمر في المعاني لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كداً كثيراً »

والحق أن أظهر الدلالات في مفهوم البلاغة هي أناقة الديباجة ووثاقة السَّرد ونصاعة الإيجاز وبراعة الصنعة ؛ فإذا كان مع كل ذلك المعنى البكرُ والشعور الصادق كان الإعجاز . وليس أدل على أن الشأن الأول في البلاغة إنما هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب ، أن المعنى المبذول أو المرذول أو التافه قد يتسم بالجمال ويظفر بالخلود إذا جاد سبكه وحسن معرضه . ولا بأس أن أقدم إليك مثلاً من آلاف الأمثلة بلغ معناه الغاية في السوقية والفحش ، ومع ذلك تحب أن تسمعه وتحفظه وتعيده لأنه بلغ من سر الصناعة غاية تظلع دونها أكثر الأقلام

قال أبو الميناء الأعمى لابن ثوابة : بلغني ما خاطبت به أبا الصقر ؛ وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم ير عرضاً فيمضغه ، ولا مجداً فيهدمه

فقال له ابن ثوابة : ما أنت والكلام يا مُكدَّى ؟

فقال أبو الميناء : لا يُنكر على ابن ثمانين سنة قد ذهب بصره ، وجفاه سلطانه ، أن يعول على إخوانه ... ثم رماه بمعنى فاحش مكشوف . فقال له ابن ثوابة : « الساعةَ آخر أحد غلماني بك » . فقال أبو الميناء : « أيهما ؟ أالذي إذا خلوت ركب ، أم الذي إذا ركبت خلا ؟ »

فانظر في هذه الجملة الأخيرة تره رمى ابن ثوابة في نفسه وفي زوجه ، وهما معنيان سوقيان يترددان كل ساعة على ألسنة السوقيين من أوشاب العامة ، وإنك مع ذلك تقف من هذه الجملة موقف المشدوه المعجب ، تحرك بها لسانك ، وتعمل فيها فكرك ، وتعرضها على مقاييس البلاغة وشروطها فتطول على كل قياس وتزيد على كل شرط . تأمل هذا الإيجاز البارع بحذف متعلقات الفعلين وفيها جوهر المعنى وإصابة الغرض ، تجد سر البلاغة كله فيه ؛ لأن هذا الحذف مع وضوح المعنى قد نزّه الكلام عن صراحة الفحش ، وصان المتكلم عن ذكر القبيح ، فلو أنه قال خلوتَ بكذا وخلا بكذا ، وركبت كذا وركب كذا ، لانحط الكلام عن مقام البلاغة وصار بهذه العامة أشبه . وكان بحسب البليغ هذا الإيجاز المشرق ، ولكنه ضم إليه من أنواع البديع (العكس) و (أسلوب الحكيم) فعكس الفعلين ، واستعملهما في معنيين مختلفين ، وكل ذلك في غير تكلف ولا تعسف ولا غموض .

فأنت ترى أن الصياغة وحدها هي التي سمت بهذه المعاني الخسيسة إلى أفق البلاغة فتداولتها الألسن وتناقلتها الكتب . وليس حال المعنى في ذلك حال اللفظ ؛ فإن اللفظ في ذاته كالموسيقى يخلب الأذن ويلذ الشعور وإن لم يترجم ؛ أما المعنى فكالكهرباء ، إذا لم يكن لفظه جيّد التوصيل انقطع تياره فلا يعرب ولا يطرب . اقرأ قول القائل :

لما أطعنا كمُ في سخط خالقنا ... لا شك سلّ علينا سيف نقمته

ثم وازن معناه الشريف ونسجه السخيف ، بما رويت لك من كلام أبي الميناء ، فلا يسعك إلا أن تقول كما أقول : إن العَنبر يوضع في آنية الذهب فيُقبل ويحمل ؛ وإن المسك يوضع في نافجة الطين فيرفض ويُهمل .

(الكلام بقية)

مصطفى صادق الرافعي